ملخّص ويسألون عن الطفوف وأسرارها - الحلقة (١) / عبد الحليم الغزّي

الطفوف وأسرارها

نقاط لامعة مضيئة

السبت : ٢١/محرم/١٤٤٤هـ - الموافق ٢٠/٨/٢٠٢٢م

سَلامٌ عَلى نَحْرِكَ الْمَنْحُورِ يَا حُسَين..
أُنَاجِيكَ يَا دَمَ النَّحرِ الذَّبِيح..
أُنَاجِيكَ فِي محرَابِ عشْقِي وَلَهفَتِي عَلَيْك..
أُنَاجِيكَ وَأَنَا أَرْفَعُ مُسْتَجْدِياً يَدِي إِلَيْك..
لَقَد فَقَدَت الحَيَاةُ بَرِيقَهَا، وَغَاصَ الَّذِينَ يَقُولُونَ نَحْنُ شِيْعَةٌ فِي بِحَارِ الضَّيَاع..
تَشَتَّتُوا فِي يَأسِهِم بَعْدَ أَنْ تَعَطَّلَت بَوصَلَةُ الهِدَايَةِ فِي أَيْدِيهِم..
وَاهِمُونَ وَاهِمونَ لَا يَعرِفُونَ الطَّرِيق..
يَضْحَكُ كِبَارُهُم عَلَى صِغَارِهِم..
وَيَضْحَكُ الصِّغَارُ عَلَى الصِّغَارِ مِن أَمْثَالِهِم..
كُلُّهُم حَيَارى كِباراً وَصِغَاراً!!!
جِئْتُكَ مِنْهُم هَارِباً أَلُوذُ بِفِنَائِكَ يَا نَجِيْعَ الحَيَاة..
عَلَّنِي أَسْتَطِيعُ أَنْ أُمْسِكَ بِخُيُوطِ أَمَلِي فِي الخَلَاص..
غُربَةٌ هِيَ الدُّنْيَا..
وَحْشَةٌ هِيَ الأَيَّام!!!
صَارَتِ الصَّدَاقَةُ فِيهَا مَلَلاً..
وَالقَرَابَةُ كَلَلاً..
وَقَولُ الحَقِّ خَطَلاً!!
فَمَا مِن لَذَّة نَجْرِي وَرَاءَهَا..
وَلا مِن مُؤانَسَة نَرتَقِبُ وَقْتَهَا..
لَقَد ضَاقَت حَلَقَاتُهَا وَتَرَادَفَت فِتَنُهَا..
لَم يَبْقَ من أَمَلٍ إِلَّا الَّذِي يَنْتَظِرُهُ الْمُخْلِصُون..
سَلَاماً.. سَلاماً يَا بَقِيَّةَ اللّه..
الخِيَانَةُ وَالغَدْرُ وَالأَكَاذِيبُ وَالخَوْفُ فِي كُلِّ مَكَان..
سَلَاماً.. سَلاماً يَا أَمَانَ الخَائِفِين..

• **نقاطٌ لامعةٌ ومُضيئة.**

الحديثُ في هذه الحلقات الَّتي عنونتها؛ **"ويسألونَ عن الطُفوف وأسرارِها"**، الحديثُ قد يكونُ عميقاً إلى حدٍّ ما وقد يكونُ دقيقاً نوعاً ما، لذا فإنِّي أجِدُ من الضرورة أن أضعَ بينَ أيديكم مجموعةً من المفرداتِ في هذهِ الحلقةِ تحتَ هذا العنوان: **"نِقاطٌ لامعةٌ ومُضيئة"**، هذهِ النِقاطُ سنحتاجُها حينما نَسبرُ غورَ مَطالبِ هذه الحلقات.

النقطةُ الأولَى: كثيرونَ منَ الحُسينيّينَ يُدركُونَ بفطرتهم، بوجدانهم، بحالة صفاء حُسيني تعتريهم، يُدركونَ من أنَّ عاشوراءَ ليست مَحصورةً بهذه الصورة المعهودة في أذهاننا، يُدركُونَ عبرَ فطرتهم وعبرَ وجدانهم أنَّ عاشوراءَ أكبرُ وأكبرُ وأكبرُ من الصورة الَّتي عُلِّمنَاها، هكذا علَّمونا في أجوائنا الدِّينيةِ التقليديَّةِ المعهودةِ، رُسِمَت لنا صورةٌ عنَ عاشُوراء، لكنَّ الحقيقةَ أعظمُ وأكبرُ من كُلِّ ما رسمُوا وأعظمُ وأكبرُ من كُلِّ ما نتخيّلُ ونتصوّرُ ونعتقد.

لذا فإنَّني في هذه الحلقا ت أحاولُ بحدود ما يُمكنُ بيانهُ أن أتناولَ شيئاً من خفايا عاشُوراء، من أسرارِ عاشُوراء قطعاً بحدود معرفتي، فعاشُوراءُ في أسرارها أعظمُ منّي وأعظمُ منكم، عاشُوراءُ في أسرارها ترتبطُ ارتباطاً مُباشراً بالمشروعِ المهدويّ الأعظم، الَّذي نحتاجُ في إدراكه ونحتاجُ إلى معرفته أن يَجمعَ إمامُ زماننا الحُجَّةُ بنُ الحسن صلواتُ اللّه عليه أن يجمعَ عُقولَنا، وأنْ يُركِّزَ قُدرتَها، مثلما حدَّثتنا كلماتُهم الشريفةُ النوريَّة؛ "مَن أنَّهُ سيضعُ يدَهُ صلواتُ اللّه عليه على رؤوس الخلق، على رؤوس العبَاد كي يجمعَ بذلك عُقولَهم".

أمرٌ مُهمٌّ أنْ نلتفتَ إليه؛ **"ما يرتبطُ بالتواصلِ الوجداني"**.

التواصلُ الوجداني؛ حالةٌ موجودةٌ في كُلِّ موجود، ومن خلال هذه الحالة تبكي السَّماءُ على الحُسَين، ومن خلالِ هذهِ الحالة تبكي الأرضُ على الحُسَين، بل في أحاديثنا؛ "الأرضُ تبكي على أشياع الحُسَين، تبكي على المؤمن الَّذي كانَ يدوسُ عليها في طاعة اللّه".

التواصُلُ الوجداني حالةٌ مُنتشرةٌ في كُلِّ الموجودات؛ "التَّسبيح "، كُلُّ شيءٍ يُسبِّحُ للّه، هذا التَّسبيحُ لن يتحقَّقَ إلَّا عبرَ الحالةِ الوجدانيّةِ في كُلِّ الكائنات، فَكُلُّ الكائنات تَملكُ درجةً من الإدراك بحسبها.

القُرآنُ هو الَّذي يُحدِّثُنا عن ذلكَ في سورة الإسراء، الآية الرابعة والأربعين بعدَ البسملة: ﴿**تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ** - وإنْ من موجود - **وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسبحُ بِحَمْدِهِ** - كُلُّ شيءٍ يُسبِّح، والتَّسبيحُ فَرعُ الإدراك، هذا الإدراكُ هوَ التواصلُ الوجدانيُّ معَ الأشياء - **وَلَـكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً**﴾، الآيةُ تتحدَّثُ عن حقيقةٍ واسعةٍ منتشرةٍ في كُلِّ جهةٍ من جهاتِ هذا الوجود، كُلُّ موجودٍ يُسبِّح، حالةُ الإدراكِ في كُلِّ موجودٍ هي الَّتي تَجعلهُ مُسبحاً، وحالةُ الإدراكِ هذه يُقاربُهَا فينا نحنُ الآدميّون؛ "التواصُلُ الوجدانيُّ مع الأشياء"، نحنُ إذا كُنَّا في حالة صفاء قلبي، روحي، وجداني، قولوا ما تشاءون نستطيعُ أن نَفتحَ خُطوطَ الاتصالِ مع الأشياء، قطعاً بحدود مستوى صفائنا، هذا إذا كُنَّا نمتلكُ ذلك مثلما يقولونَ لَنا: (من أنَّ من أخْلَصَ أربعينَ صَباحاً تَفَجَّرت يَنابِيعُ الحِكْمَةِ من قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِه)، الَّذي لا يعيشُ هذهِ الحالة لا يستطيعُ أن يتصوَّرَ هذا المعنى، الَّذي لا يعيشُ الإخلاص لا

يستطيعُ أن يتصوَّرَ معنى الإخلاصِ على حقيقتِه، وبعدَ ذلكَ فهوَ لن يستطيعَ أن يتصوَّرَ آثارَ ذلكَ الإخلاص، كيفَ يكونُ القلبُ المخلصُ وكيفَ تتفجَّرُ يَنابيعُ الحكمةِ في ذلكَ القلبِ حتَّى تظهرَ على لسانِ صاحبِ ذلكَ القلبِ المخلص؟ الحكايةُ هي هي، صفاءُ الوجدانِ الحُسينيِّ هو الَّذي يجعلُ الحسينيينَ يستشعرونَ هذه الحقيقة؛ من أنَّ عاشُوراءَ أعظمُ من كُلِّ هذا الَّذي نرسمهُ في أذهَاننا وفي خيالنا بواسطةِ المعطيات الَّتي عُلِّمناها ووصلت إلينا.

نقرأُ في الزيارةِ الحُسينيَّة المطلقة الأولى:

من (مفاتيح الجنان)، نقلها عن (الكافي الشريف)، مَرويةٌ عن إمامنا الصَّادقِ صلواتُ اللّه عليه، جاءَ فيها ونَحنُ نُخاطبُ الحُسَين في زيارته: **وَبِكُم** - سادتي آلَ مُحَمَّد - **وبِكُم تُسبَحُ الأَرْضُ الَّتي تَحْملُ أَبْدَانَكُم** - بِكُم تُسبح هذه باءُ السببيّة، قُدرةُ الإدراك في الأرض على التَّسبيح هي منِّكُم وإليكم، ومضمونُ تسبيحها عائدٌ إليكم، (**مَن أَرَادَ اللَّهَ** - كما في الزيارة الجامعة الكبيرة - **بَدَأ بِكُم**) وهُنا أيضاً في هذه الزيارة: (**مَنْ أَرَادَ اللَّهَ بَدَأ بِكُم**)، هذا النصُّ موجودٌ في زيارة الحُسين المطلقة الأولى، (مَن) لكُلِّ عاقل، وبحسبِ ما تقدَّمَ فإنَّ كُلَّ موجود على درجة من العقل والإدراك، قطعاً في هذا الأفق الَّذي أتحدَّثُ عنه مثلما بيَّنَ القرآنُ لنا: ﴿**وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ**﴾، هذا التَّسبيحُ فرعُ الإدراك، والإدراكُ هو فرعُ العقل، فَكُلُّ كائنٍ بحسبه - **وبِكُم تُسَبِّحُ الأَرْض الَّتي تَحْملُ أَبْدَانَكُم وَتَسْتَقرُّ جِبَالُهَا عَلَى مَراسِيهَا.**

في دُعاء شهرِ رجب المروي عن إمامِ زماننا صلواتُ اللّه عليه، في مفاتيح الجنان: **فَبِهِم** - "بهم"؛ بِمُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد - **فَبِهِم مَلَأتَ سَمَاءَكَ وَأَرْضَك حَتَّى ظَهَرَ أَنْ لَا إِلَه إِلَّا أَنْت** - القُدرةُ على التسبيح منهم وإليهم، إدراكُ مضمون التَّسبيح منهم وإليهم، فحقائقُ التَّسبيح مظاهرهم، هؤلاءِ هُم أئمَّتُنا، هذا منطقُ ثقافةِ مُحمَّد وآلِ مُحمَّد.

سأُحدِّثكم في حلقة يومٍ غد عن منطقين؛

عن منطقٍ ترابيٍّ؛ إنَّهُ منطقُ السقيفَتين، سقيفة بني ساعدة وسقيفة بني طوسي، من خلال المنطق التُرابي حَدَّثونا عن عاشُوراء، فعاشُوراء الَّتي نعرفها تُرابيَّةٌ، تعودُ إلى المنطق التُرابي، إلى المنطق المظلم، إلى المنطق السفيه، إنَّهُ منطقُ السقيفتينِ السفيهتين؛ "سقيفةِ بني ساعدة، وسقيفةِ بني طوسي"، أتحدَّثُ عن حوزة النَّجف.

وهُناكَ منطقٌ نُوريٌّ مُشرقٌ مُبصر؛ فارقٌ بينَ المنطقين، هذه مُفرداتٌ من مُفردات المنطق النوري.

عبرَ التواصلِ الوجداني حينما يُوفَّقُ الحُسينيّونَ لحالةٍ من النَّقاء الحُسَينيّ، لحالةٍ من الصفاء الحُسيني، قطعاً لابُدَّ أن يبتعدوا عن المنطق التُرابي، عن المنطق المُظلم، لابُدَّ أن يتزيَّنوا بقواعد المنطق النوري إنَّهُ مَنطَقُ الغدَيرين.

حلقاتُنا هذه ستكونُ ضمن هذه الأجواء وضمنَ هذه القواعد؛ "**في مراتب المعارف**".

على سبيل المَثال: إمامُنا الصَّادقُ صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه حَدَّثنا عن أنَّ القُرآنَ نَزلَ على أربعة مراتب؛ "**على العبارة والإشارة واللطائف والحقائق**".

في هذه الحلقات أحاولُ بقدرِ ما أستطيع أن أتملَّصَ من أغلالِ أفق العبارة، أن أتملَّصَ من حبالِ وقيودِ مستوى العبارة وأحاولُ أن أتشبَّثَ بأهدابِ مستوى الإشارة، فعالمُ الإشارة عالمٌ وسيعٌ وأوسعُ منه وأعمقُ منه عالمُ اللطائف، وأعمقُ من اللطائف عالمُ الحقائق، القضيَّةُ لا تقفُ عندَ هذا الحد..

(**إِنَّ أمرَنا، إِنَّ حَديثَنا صَعبٌ مُستَصعبٌ لَا يَحتَمِلُهُ لَا نَبِيٌّ مُرسَلٌ وَلَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا عَبْدٌ امْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ للإِيمَان، فَمَن يَحتَملهُ يا صَادقَ العترة؟ قَالَ: مَن شئْنَا**)، "من شئنا"؛ ليسَ بالضرورة أن يكونَ من الأنبياء ومن المرسلين، وليس بالضرورة أن يكونَ من الملائكة ومن المقرَّبين، من شئنا قد يكونُ من الأنبياء المرسلين، وقد يكونُ من الملائكة المقرَّبين، وقد يكونُ من الشيعة الَّذينَ امتُحنت قُلوبُهم للإيمان.

فهذه المراتبُ تخصُّني وتخصُّكم، تخصُّ الشيعة؛ "هُناكَ العبارةُ، والإشارةُ، واللطائفُ، والحقائق"، هذا الكلامُ لا نَنْسبهُ إليهم صلواتُ اللّه عليهم، هُم أعلى من كُلِّ هذه المضامين، هذه المراتبُ إذا أردنا أن ننسبها إليهم فتلك سَفاهةٌ، سَفاهةٌ مِنِّي ومِنكُم.

في سورة الحجر.

الآيةُ التاسعةُ والتسعون بعدَ البسملة: ﴿**وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِين**﴾، اليَقينُ هُنا الموت لا كما يقولُ المتصوِّفةُ مَن قالَ منهُم بهذا القول أو ما تقولهُ الفرقُ الباطنيَّةُ من غُلاة الشيعة من أنَّ الإنسانَ إذا وصلَ إلى اليقينِ في حياته فحينئذٍ لا حاجةَ لأن يكونَ ملتزماً بأحكام العبادات، الآيةُ لا تتحدَّثُ عن هذا، اليَقينُ هُنا الموت، إنَّها غايةٌ زمانيَّةٌ.

في زيارة آل ياسين في مفاتيح الجنان، نُخاطبُ إمامَ زماننا: (**وَأَنَّ الْمَوْتَ حَقٌّ**)، الموتُ حقيقةٌ، حينما نصلُ إلى الموت إنَّنا نُواجهُ الحقيقةَ، قطعاً الموتُ مُستوىً من مستويات الحقيقة، الموتُ مصداقٌ من مصاديق الحقائق، فعندَ الموت تتَّضحُ الأمور، قطعاً بحدود ذلك الميِّت، من هُنا يقولُ رسول اللّه ويقولُ أمير المؤمنين صلَّى اللَّهُ عليهما والهما: (**النَّاسُ نِيَامٌ** - نِيامٌ وهُم في حالة يقظتهم يأكلونَ ويشربون - **النَّاسُ نِيَامٌ فَإِذَا مَاتُوا انْتَبَهُوا**).

هذا هو الَّذي تقصدهُ الزيارةُ الشريفة حينما نزورُ سيد الشُّهداء على سبيل المثال ونقرأ زيارة وارث: (**السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ثَارَ اللّه وَابْنَ ثَارِه وَالوِتْرَ الْمَوتُور، أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ أَقَمْتَ الصَّلَاةَ وَآتَيْتَ الزَّكَاةَ وَأَمَرْتَ بِالْمَعْرُوف وَنَهَيْتَ عَن الْمُنْكَر وَأَطَعْتَ اللَّهَ وَرَسُولَه حَتَّى أَتَاكَ اليَقين**)، إلى لحظة الخُروج من ظاهرِ هذه الدنيا، وأنا أتحدَّثُ هُنا عن الحسينِ صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه، اليقين الَّذي جاءَ مذكوراً في الأدعيةِ وفي الزياراتِ بهذا السياق؛ "إنَّهُ الموت"، والموتُ حقيقةٌ من الحقائق.

﴿**وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِين**﴾، اليقينُ هي الحقائق.

﴿**كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِين**﴾، علمُ اليقينِ حقائقُ الحقائق.

وهُناكَ حقُّ اليقين؛ حقُّ اليقين حقائقُ حقائقِ الحقائق، مثلما جاءَ في سورة الواقعة، الآية الخامسة والتسعين بعدَ البسملة: ﴿**إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِين**﴾، وحقُّ اليقينِ أعمقُ من علم اليقين، وجاءَ أيضاً في سورة الحاقة، الآية الحادية والخمسين بعدَ البسملة: ﴿**وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِين**﴾.

وهُناكَ عينُ اليَقين؛ مثلما جاءَ في سورة التكاثر، الآيةِ السابعةِ بعدَ البسملة: ﴿**ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِين**﴾، فعينُ اليقين حقائقُ حقائقِ حقائقِ الحقائق، وكُلُّ هذا مُرتبطٌ بنا.

أمَّا هُم فشأنُهم ليسَ كشأننا صلواتُ اللّه عليهم، مثلما قرأنا في زيارة آل ياسين قبلَ قليل أقرأ عليكم أيضاً: (**وَأَشْهَدُ أَنَّكَ** - يا بقيَّةَ اللّه، الخطابُ معَ إمامِ زماننا - **وَأَشْهَدُ أَنَّكَ حُجَّةُ اللّه أَنْتُم الأَوَّلُ وَالآخر**)، كما يقولُ سيدُ الأوصياء: (**أَنَا الأَوَّلُ أَنَا الآخر أَنَا الظَّاهرُ أَنَا البَاطن**)، هُم الأوَّلُ والآخر، هُم الظاهرُ والباطن، فما نتحدَّثُ بهِ عن عبارةٍ وإشارةٍ وعن لَطائف وعن حقائق وعن حقائق الحقائق وعن حقَائقِ حقائقِ الحقائق، وعن حقائقِ حقائقِ حقائق الحَقائق هذا مُرتبطٌ بنا.

• **وهذهِ الحقائقُ على مراتب.**

في سورة التكاثر بعدَ أن قالت الآيةُ: ﴿**ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ**﴾، تأتي الآيةُ الَّتي بعدها: ﴿**ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذ عَنِ النَّعِيمِ**﴾، "النعيمُ"؛ ولايةُ عليٍ، ولايةُ صاحبِ الأمر، هذه مُقدِّماتٌ لإدراكها؛ "العبارةُ، الإشارةُ، اللطائفُ، الحقائقُ بِكُلِّ مراتبها"، من اليقينِ إلى علمِ اليقَينِ إلى حقِّ اليقينِ إلى عين اليقين، النهايةُ هُنا: ﴿**ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذ عَنِ النَّعِيمِ**﴾، عن ولايتهم، ليس عنهُم، ولايتُهُم شأنٌ من شؤونهم، (**مَن زَارَ الحُسَينَ عَارِفاً بِحَقِّه**)، ماذا نعرفُ من حَقِّ الحسينِ إذاً؟! عَظيمُ الأجرِ لزائرِ الحُسينِ بهذا الشرط؛ (مَن زَارَهُ عَارِفاً بِحقِّه)، وحقِّ الحُسينِ الَّذي هو الحُسينُ لن تعرفوا حقَّ الحُسَين من خلال المنطق التُرابي من خلال منطق السقيفتين، إذا أردتُم أن تعرفوا حقَّ الحُسَينِ يجبُ عليكم أن تعرفوا حَقَّ الحُسَينِ من خِلالِ المنطق النوري، من خِلالِ منطق الغديرين، ولهذا بايعنا بيعة الغدير الأولى، وبيعة الغدير الثانية.

النقطةُ الثانية سأضربُ لكم مثالاً: موضوعٌ يتحدَّثُ عنهُ عُلماءَ العالم، عُلماءَ الفضاء، عُلماءَ الفيزياء، عُلماءَ العالم يضعونَ هذا السؤال: صورةُ الكونِ الَّتي في أذهاننا، في أذهاننا قطعاً في الموسوعات العلميّة الَّتي كتبها وألَّفها عُلماءُ فيزياء الأرض، وعُلماءُ فيزياء السَّماء، الصورةُ الَّتي رسمها هؤلاء في مُؤلَّفاتهم، في كُتُبهم، في مَجامعهم العلميّة في الجامعاتِ العريقةِ في وفي وفي، هذهِ الصورةُ هل هي الصورةُ الحقيقيّةُ للكون؟ هل الكونُ هو هذا؟ أم هي الصورةُ الَّتي رسمناها نحنُ عَن الكونَ؟!

الجوابُ هو الثاني؛ نحنُ لا نملكُ صورةً كاملةً حقيقيّةً عن الكون، عندنا مُعطياتٌ ناقصةٌ، من خلال المعطيات الناقصة رسم عُلماءُ الفيزياء، عُلماءُ الفضاء، عُلماءُ التقنيّات المعاصرة صُورةً للكون وقدَّموا لنا الكونَ على هذا الأساس، هذا المثالُ أردتُ أنْ أُقرِّبَ من خلاله الفكرةَ الَّتي أريدُ أنْ أُحدِّثَكُم عنها في هذهِ الحلقات؛ نحنُ عندنا مُعطياتٌ عن عاشُوراء، مُعطياتٌ حقيقيةٌ، لكنَّنا لا نمتلكُ الحقيقةَ الكاملة، ولا نَمتلكُ الصورةَ الكاملة، فَكُلَّما لامسنا مُعطياتٍ من حقائقِ عاشُوراء كُلَّما تجلَّت لنا عاشوراءُ بصورةٍ أخرى.

إنَّها مَراتبُ المعرفة:

- فَهُناكَ العبارةُ.
- وهُناكَ الإشارةُ.
- وهُناكَ اللطائفُ.
- وهُناكَ الحقائقُ.
- وهُناكَ حقائقُ الحقائقِ على اختلاف مراتبها؛ "من اليقينِ إلى علم اليقينِ، إلى حَقِّ اليقينِ، إلى عَين اليقين".

وكُلُّ هذا بحدودنا، الحقيقةُ المطلقةُ لَن نصلَ إليها، الحقيقةُ المَطلقةُ عندَهُم صلواتُ اللّه عليهم هُم الأوَّلُ والآخر هُم الظاهرُ والباطن تلكَ هي الحقيقةُ المطلقة فأنَّى لنا أن نَصل إليها؟! نحنُ في أعلى المراتبِ إذا أردنا أن نصلَ سَنُلامسُ الحقائقَ وحَقائقَ الحقائق، بحسبِ المراتب الَّتي أشارَ إليها القُرآنُ وحدَّثتُكم عنها قبلَ قليل، هذا إذا كُنَّا من أهلِ هذا الوادي، من وادي النُّور، من الوادي المُشرق وليسَ من الوادي المُظلم، إذا كُنَّا ممَّن يَحكُمُ على الأشياءِ ويفهمُ الأشياءَ بمنطق الغديرين لا كما يُسيطرُ المنطقُ المظلمُ منطقُ السقيفتين على الواقع الشيعي مُنذُ بدايات الغَيبة الكُبرى وإلى هَذه اللحظة..

النقطةُ الثالثة: الآيةُ الثامنةُ والخمسون بعدَ المئة بعدَ البسملة من سورة الأنعام، أهمُّ قوانينِ زمان الغَيبة والظهور: ﴿**يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ**﴾ - آياتُ اللّه مُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمَّد، إنَّهُ بقيّةُ اللّه - **لاَ يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً قُلِ انتَظِرُواْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ**﴾، الآيةُ تشيرُ إلى أمرين مُهمّين:

الأمرُ الأوَّل: الإيمان.

والإيمانُ معرفةٌ، والمعرفةُ إيمانٌ، أمّا الكَسْبُ فهو العملُ، العَملُ إنْ كانَ مَعنوياً أو كانَ مادياً.

هذانِ الشرطانِ هُما اللَّذانِ يكونانِ سبباً للتوفيقِ لِنُصرةِ إمامِ زماننا عندَ ظهورِه الشريف:

- "**إيمَانٌ**"؛ مَعرفةٌ قبلَ الظهور.
- "**وعملٌ**"؛ أكانَ مَعنوياً أم كان مادياً قبل الظهور.

فهذا يعني أنَّ المعرفة ترتبطُ بالظهورِ بمشروع الإمام، وأنَّ الكَسْبَ، ﴿**أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً**﴾، مُرتبطٌ بالظهورِ، إنَّهُ التَّمهيدُ لإمامِ زماننا ابتداءً من تَمهيد الأمرِ في نفس الإنسانِ، أنْ يُمَهِّدَ الإنسانُ نَفسهُ، وأنْ يُمَهِّدَ قَلبهُ، وأنْ يُمهِّدَ عَقلهُ لِنُصرةِ إمامِه.

فَهُنا الإيمانُ؛ المعرفةُ.

وهُنا الكسبُ؛ التَّمهيدُ.

وهذا هو جوهرُ الخدمةِ الحُسينيّة، الخدمةُ الحسينيّةُ هي أثرٌ من آثارِ المعرفةِ الحُسينيّة، (مَن زَارَ الحُسَينَ عَارِفاً بِحَقِّه)، مَن خَدَمَ الحُسَينَ عَارِفاً بِحقِّه، الخادمُ كيفَ يَكونُ خادماً ما لم يَكُن عارفاً لحقِّ مَخدومه؟ جوهرُ الخدمةِ الحُسَينيّة الَّتي هي من آثارِ المعرفةِ الحُسينيّةَ هو هذا الَّذي تتحدَّثُ هذهِ الآيةُ الكريمةُ عنه.

هُناكَ حقيقةٌ يغفلُ عنها الحُسينيّون وسَببُ غفلتهم أنَّهم يُفكِّرونَ وفقاً لقواعدِ المنطق التُرابي، قواعد التفكير التُرابي، لابُدَّ أن يعرفَ الحُسينيّونَ من أنَّ الخدمة الحُسينيّةَ على نوعين:

النوع الأوَّل: خدمةٌ حُسينيّةٌ مهدويَّةٌ، وهذه الخدمةُ الَّتي يُريدها إمامُ زماننا.

والنوعُ الثاني: خدمةٌ حُسينيّةٌ ليست مهدويّةً وهي الخدمةُ الَّتي تقومُ بها الشيعةُ بحسبِ ما تَعلَّموا من المنطق التُرابي، فأكثرُ المواكبِ وأكثرُ الهيئات الحُسينيَة وأكثرُ الحُسينيّات وأكثرُ الحُسينيين إنْ لم يكونوا جميعاً خدمَتُهم من النوع الثاني، من الخدمة الحُسينيّة اللامهدويّة وهي خدمةٌ عبثيّةٌ وخدمَةٌ باطلة بتمامِ معنى هذه الكلمة، هذا لا يعني أنَّهم لا ينالونَ أجراً عليها لكنَّها باطلةٌ بميزانِ منطقِ الغديرين.

إمامُنا الصَّادقُ وفقاً لمنطق الغديرين ماذا قالَ لنا؟ حينما سُئلَ عن القائم صلواتُ اللّه عليه، (لَوْ أَدْرَكتُهُ لَخَدَمتُهُ أَيَّامَ حَيَاتِي)، إذاً أينَ ستكونُ الخدمةُ الحُسينيَّةُ في حياةِ إمامِنا الصَّادق، إذا كانَ الإمامُ الصَّادقُ قد أوقفَ كُلَّ حياته لخدمة القائم المَهديّ؟ خدمةُ الصَّادق للقائم المهديّ هي هي خدمةُ الحُسَين، لأنَّ الخدمةَ الحُسينيّةَ الَّتي يُريدها منَّا مَنطقُ الغديرينَ أن تكونَ خدمةً حُسينيّةً مَهدويَّةً في الوقتِ نَفسه فليسَ هُناكَ من مساحة في الخدمةِ الحُسينيّة تكونُ مُنفصلةً عن الخدمة المهدويَّة، وليسَ هُناكَ من مساحة في الخدمة المهدويَّة تكونُ مُنفصلةً عن الخدمةِ الحُسينيّة، هذا هو منطقُ الغديرين، وهو مُناقضٌ بدرجةِ مئةٍ بالمئة للمنطق التُرابي لمنطقِ مراجعِ حوزةِ النَّجفِ وكربلاءَ لمنطق الوائلي وأمثاله.

الخدمةُ الحُسينيّةُ هيَ هيَ الخدمةُ المهدويّة، والخدمةُ المهدويّةُ هيَ هيَ الخدمةُ الحُسينيّة، عاشُوراء هي الـمُحرّكُ الأساسيّ والأصليّ للمشروع المهدويّ الأعظم، من هُنا فإنَّ إمامَنا الصَّادقَ جَعلَ كُلَّ أيامه خدمةً لقائم آل مُحمَّد مثلما بَيَّن لنا هذه الحقيقة في الحديث الشريف، فخدمتهُ المهدويَّةُ خدمةٌ حُسينيّة، وخدمتهُ الحُسينيّةُ خدمةٌ مَهدويّة، وهذا هو الَّذي يُريدهُ منَّا إمامُ زماننا، أمَّا أن تكونَ الخدمةُ مُعنونةً بالخدمة الحُسينيّة بعيدةً عن معرفَة إمامِ زماننا، وبَعيدةً عن العملِ من خلال هذه الخدمة في التمهيد للمشروع المهدويّ الأعظم، فتلكَ ما هي بخدمةٍ حُسينيّة، هذه خدمةٌ حُسينيّةٌ بتراء، مثلما هُناكَ الصَّلاةُ على النَّبي الصَّلاةُ البَتراء، هذه خدمةٌ بتراء.

هكذا نقرأ في أوصاف أنصار القائم صَلوات اللّه عليه:

في الجزء الثاني والخمسين من (بحار الأنوار) للمَجلسي/ طبعة دار إحياء التراث العربي/ بيروت/ لبنان/ بدايةُ الحديث صفحة (٣٠٧)، رقم الحديث (٨٢)، عن إمامنا الصَّادق صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه، الحديثُ طويلٌ أذهبُ إلى موطن الحاجة منه، الإمامُ يُخبرنا عن أوصاف أنصار القائم فيقول صلواتُ اللّه عليه: **هُم أَطْوَعُ لَهُ مِنَ الأَمَة لِسَيِّدِهَا** - لأنَّ الأَمَة في ا لأعمِّ الأغلب تُحبَّ سيِّدها، بينما العَبدُ في الأعمِّ الأغلب بحسبِ العُرفَ أتحدَّثُ عن مَنطق الأعراف العَبدُ في الأعمِّ الأغلب لا يُحبَّ سَيِّدَهُ، ومن هُنا جاءَ المثالُ ناظراً إلى هذه الجهة - **كَالْمَصَابِيحِ كَأَنَّ قُلُوبَهُم القَنَادِيل، وَهُم من خَشْيَة اللّه مُشْفِقُون، يَدْعُونَ بِالشَّهَادَة وَيَتَمَنَّونَ أَنْ يُقْتَلُوا فِي سَبِيل اللّه شعَارُهُم؛ "يَا لَثَارَات الحُسَين"** - الشِّعارُ رمزٌ، والرمزُ يكون مُوجزاً مُختصراً لكنَّهُ يتحدَّثُ عن معنى عميق، (يا لَثَارَات الحسين)، هذا العنوانُ عُنوانٌ رابطٌ فيما بينَ عاشُوراء وبينَ يوم الخَلاص، هذا العنوانُ يُمثِّلُ الزبدةَ في العقيدة والفكر الَّتي تُرابِطُ فيما بَينَ عاشُوراء ويوم الخلاص، هذا عنوانٌ يُلخِّص لنا الرابطةَ بَينَ الحُسينِ والقائم صلواتُ اللّه عليهم وعلى آلهم الأطيبينَ الأطهرين.

هذه أوصافُ أنصار القائم: (**كَأَنَّ قُلُوبَهُم القَنَادِيل**)، هذه القُلوبُ القنادِيل لم تَكُن قَنادِيلَ إلَّا بالمعرفة، وإلَّا بالعقيدة السَّليمة، هذا هو الإيمانُ الَّذي كانَ في قُلوبهم زمانَ الغَيبة وزمانَ التمهيد ها هو يُشرِقُ زمنَ الظهور وهذا شعارهُم ينطقُ بالحقّ، هذا الشِّعارُ وهذا الرّمزُ وهذا العنوانُ يُحدِّثُنا عن جذوة الحماس في قُلوبهم في فناء الحُسَين صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه، تلكَ الجذوةُ ما لم تَكُن مُستندةً إلى معرفة واضحة (مَنْ زَارَ الحُسَينَ عَارِفاً بِحَقِّه)، مَن خَدَمَ الحُسَينَ عَارِفاً بِحَقِّه، ومَن جَاءَ يَطْلُبُ بِثَار الحُسَين عارفاً بحقِّه، تلكَ هي القُلوبُ القناديل، هؤلاء هُم الَّذينَ يتبرَّؤونَ من السقيفتين، ويتبرؤونَ من منطق الظلام والضلال مَن المنطق السقيفي، هذا المنطقُ التُرابيّ المظلَم هو الَّذي حبس المشروعَ الحُسَينيّ في زنزانة السياسة، وهو الَّذي وضعَ للحُسَين قالَباً من قوالب الضلال والتفاهة والسفاهة فجعلوهُ لم يَكُن عارِفاً بما ستؤولُ إليه الأمور، وإنَّما جاء إلى العراق وهو يَعلَمُ علْماً إجمالياً من إنَّهُ سيُقْتَل، لكنْ في أيِّ مكانٍ، في أيِّ زمانٍ؟ هذا كَلامُ مراجع الشيعة مُنذُ بداية الغَيبة الكبرى وإلى اليوم كُتُبهم - أتحدَّثُ عن كبارِ مراجع الشَيعة - كُتُبهم مشحونةٌ بهذا الهراء وبهذا الضلال، هذا هو المنطقُ التُرابي منطقُ السقَيفتين، منطَقُ الضلال البتريّ.

أنتُم يا خُدَّامَ الحسَين ما الَّذي عندَكُم من هذه الثقافة وما الَّذي تُحاولُونَ أن تُحقِّقوه أو أن تُحصِّلوا عليه وفي أيِّ طريقٍ أنتُم سائرون؟ هل تتوقَّعونَ أنَّ القضيَّة تنتهي عندَ الدموع أو عندَ لَدم الصُّدورِ أو لَطم الوجوه؟ هذه أُمورٌ مَطلوبةٌ أنا لا أريدُ أن أتحدَّثَ عنها، لكنَّها تَقعُ في الحاشية، هذه في حاشية الموضوع، مَتنُ الموضوعِ إمامُ زماننا صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه، مَتنُ الموضوعِ الواقعُ العقائديّ الشيعي، علينا أن نُغَيِّرَ واقعنا العقائديّ الشيعي قبلَ أن نُفكِّر بتغيير الواقع السياسي، تغيير الواقع السياسي أمرٌ مُهمٌّ ولَكن إذا توفَّرت الأسباب والظروف، لا أن ندخُل في صراعٍ فيما بَينَ اللصوص، صراعُ اللصوص لا شأنَ لنا به، علينا أن نُغيِّرَ الواقعَ العقائدي الشيعي، إذا تَغيَّرَ الواقعُ العقائديّ الشيعي فإنَّ الواقعَ الاجتماعيّ سيتغيّر، وإنَّ الواقعَ السياسي سيتغيّر تَبعاً لذلك..

إذا ما تحرّكنا ضمنَ هذه الضوابط وإذا ما صارت ثقافتنا ضمنَ هذه القواعد فإنَّنا سَندركُ حقيقةً واضحةً في آيات الكتابِ المفسّرِ بتفسيرهم وفي أحاديثهم وزياراتهم وأدعيَتهم الَّتي نفهمُها بحسبِ قواعد تفهيمهم، حقيقةٌ واضحة عاشوراء سرٌ فيما بينَ اللّه والحُسين، فماذا سنعرفُ من هذا السر؟! سنعرفُ الَّذي يتجلَّى لنا منها، أمَّا حقيقةُ السرِ في أغواره فذلكَ شأنٌ فيما بينَ اللّه والحُسين.

ومن هُنا تأتي زيارةُ عاشوراء، في (مفاتيح الجنان) تأتي واضحةً كي تُشيرَ إلى هذا السر: (**السَّلَامُ عَلَيكَ يَا ثَارَ اللّه**)، الثَّارُ هو الدَّم، السّلامُ عَلَيكَ يَا دَمَ اللّه، ودَمُ الإنسانِ عنوانٌ لأسرارِ تفاصيلِ جسمه، إنَّهُ ماءُ الحياة في أنسجة الجسمِ وأجهزته وأعضائه، دَمُ الإنسان هو سِرّهُ الجسماني، فَكُلُّ أمراض بَدَنه تظهرُ آثارُها في دَمه، فَدَمُ الإنسانِ هو سِرّهُ البدني هوَ سِرّهُ الجسمي، والعنوانُ هُنا ما هو بالعنوان المادّي الحُسينُ ثارُ اللّه، ولا حتَّى بالعنوان المعنوي، هذا العنوانُ يتجاوزُ المادَّة والمعنى، فالمادّةُ والمعنى من خصائص عالم التُراب، العُنوانُ هُنا عُنوانٌ حقائقيّ ولكن ليسَ من سنخ الحقائق الَّتي ترتبطُ بنا، هذه حقائقُ ما بينَ اللّه والحُسَين، وكُلُّ هذا، كُلُّ هذا إشاراتٌ، وكُلُّ الإشارات هذه تُخبرنا عن أنَّ عاشُوراءَ سرٌ في عُمقها ما بينَ اللّه والحُسين، وما تجلَّى لنا من عَاشُوراء هذه عبارةٌ عن شفرة سريَّة يصعُب علينا أن نُفكِّك رُموزها، بل يَكونُ الأمرُ مُستحيلاً إذا أردنا أن نُفَكِّك رموزها بعيداً عن قواعد المنطق النوري.

ومن هُنا نحنُ بحاجة أن نُغادرَ المنطق التُرابيَّ وأن نتمسَّكَ بالمنطق النُّوري إذا أردنا أن نعرفَ شيئاً بحدودنا من ألغازِ عاشوراء ومن أسرارِ عاشوراء وهذا هو عنوانُ هذه الحلقات "ويَسـألونَ عن الطُفوف وأسرارها".

هذا يقودنا إلى حقيقة واضحة أشارت إليها زيارة عاشُوراء: **فَأَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي أَكْرَمَنِي** - هذا هو التوفيق - **بِمَعْرِفَتِكُم وَمَعْرِفَة أَوْلِيَائِكُم** - ما هو الميزانُ الَّذي نَعرِفُ به الأولياء؟ بيعةُ الغدير؛ "اللَّهُمَّ والِ مَن وَالَاه وعَادِ مَن عَادَاه وَانْصُر مَن نَصَره وَاخْذُل مَن خَذَلَه"، الَّذينَ نقضوا بَيعةَ الغَدير ما هم من الأولياء، الَّذينَ نقَضوها في سقيفة بني ساعدة أو الَّذينَ نقضوها في سقيفة بني طوسي، كُلٌّ بحسبه - **وَرَزَقَنِي البَرَاءَةَ مِنْ أَعْدَائِكُم** - هذا هو التوفيق، التوفيقُ هو هذا؛ **أَكْرَمَنِي بِمَعْرِفَتِكُم** - آلَ مُحَمَّد، هذا التوفيقُ هو الَّذي يجعلُنا نُقدِّمُ خدمةً حُسينيَّةً مَهدويَّةً قطعاً تستندُ إلى معرفَة أصيلة، سيتَّضحُ المعنى في الحلقات القادمة من أنَّ عاشُوراء ما هي بحدثٍ أرضي تُرابي مُظلم، ما جرى في أرضِ الطفوف صورةٌ، مظهرٌ، هذا المظهرُ يُخفي وراءهُ الكثيرَ من الحقائق..

عاشُوراءُ حَدَثٌ يرتبطُ بالملأ الأعلى، لَهُ صُورةٌ في الملأ الأسفل، لَكنَّهُ يرتكزُ بِكُلِّ جُذورهِ في مركز الغَيب، عاشُوراءُ حقيقةٌ عميقةٌ جِدّاً نتلمَّسُ منها ما نتلَمَّسُ بحدود إدراكنا.

حينما نقرأُ في هذه الرواية على سبيل المثال: من (كامل الزيارات)، لشيخنا ابن قولويه رضوان اللّه تعالى عليه/ طبعةُ مكتبة الصَّدوق/ طهران/ إيران/ البابُ الثامنُ والثمانون/ الروايةُ الرابعة في شأن كربلاء/ إمامُنا السجّادُ صلواتُ اللّه وسلامهُ عليه يقول: **اتَّخَذَ اللَّهُ أَرْضَ كَرْبَلَاءَ حَرَماً آمِناً مُبَارَكاً قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ اللَّهُ أَرْضَ الكَعْبَة وَيَتَّخِذَهَا حَرَماً بِأَرْبَعَة وَعِشْرِينَ أَلْفَ عَام، وَأَنَّهُ إِذَا زَلْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الأَرْض** - زَلْزَلَها في بدايات التغيّر الكوني استعداداً ليوم القيامة الكُبرى - **وَأَنَّهُ إِذَا زَلْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الأَرْضَ وَسَيَّرَهَا رُفِعَت** - رُفعت كربلاء - **كَمَا هِي بِتُربَتِهَا نُورَانِيَّةً صَافِيَةً فَجُعِلَت فِي أَفْضَل رَوْضَة مِنْ رِيَاض الجَنَّة، وَأَفْضَل مَسْكَنٍ فِي الجَنَّة لَا يَسْكُنُهَا إِلَّا النَّبِيُّونَ وَالْمُرْسَلُون، وَإِنَّها لَتَزْهَرُ بَيْنَ رِيَاض الجَنَّة كَمَا يَزْهَرُ الكَوكَبُ الدُرِّيُّ بَينَ الكَوَاكب لأَهْل الأَرْض، يُغْشِي نُورُهَا أَبْصَارَ أَهْل الجَنَّة جَمِيعاً، وَهِي تُنَادِي؛ "أَنَا أَرْضُ اللّه الْمُقَدَّسَةُ الطَيِّبَةُ الْمُبَارَكَةُ الَّتِي تَضَمَّنَت سَيِّد الشُّهَداء وَسَيِّدَ شَبَابِ أَهْل الجَنَّة** - قطعاً الكلامُ بحسبِ المتلقّي،

والمضامينُ أعمقُ ممَّا جاءَ في هذه التراكيب اللفظيّة، لكنَّ الروايةَ تَشرحُ لنا بشكلٍ واضح من أنَّ أرضَ كربلاء تختلفُ عن سائرِ بِقاع الأرض، ولذلكَ تُرفَعُ إلى الجنَّة لوحدها، لماذا؟ لأنَّها ارتبطَت بحدَث مَا هُو بِحَدَث تُرابي، هذا الحَدَثُ حَوَّلَ التُرابَ إلى كيانٍ نُوري، أرضُ كربلاء جُزءٌ من الأرض كُلِّها، لماذا رُفعت إلى الجنَّة؟ ولماذا وُضعت في أفضلِ موضعٍ في الجنَّة؟ ما هو هذا المعنى الَّذي نقرأهُ في زيارات الحُسين: (**أَشْهَدُ أَنَّكَ طُهْرٌ طَاهِرٌ مُطَهَّرٌ** - يَا أَبَا عَبد اللّه - **مَن طُهْرٍ طَاهِرٍ مُطَهَّرٍ طَهُرْتَ** - يا حُسَين طهارةٌ ذاتية - **طَهُرتَ وَطَهُرَت بِكَ البِلَاد وَطَهُرَت أَرْضٌ أَنْتَ فِيْهَا وَطَهُرَ حَرَمُك**)، فعاشُوراء حَدَثٌ سماويٌّ، حَدَثٌ عِلْويٌّ، ما هو بِحَدَث تُرابي، هذه الحقيقةُ ستتجلَّى لنا شيئاً فشيئاً من خلال ما يأتي من بيانات في الحلقات القادمة.

هذه الحلقاتُ بمثابة كورس مكثَّف، للَّذينَ يريدونَ أن يزوروا الحُسينَ على معرفة، وللَّذينَ يُريدونَ أن يخدموا الحُسَينَ على معرفة، وللَّذينَ يُريدونَ أن يخدموا إمامَ زمانهم في التَّمهيد لمشروعه الأعظم على معرفة، أميرُ المؤمنين صلواتُ اللّه عليه يقولُ لكُميل بن زياد: (**يا كُمَيل، لا تَأْخُذ إِلَّا عَنَّا تَكُن مِنَّا**)، ويقولُ لَهُ أيضاً في الوصيّة نفسها: (**يَا كُمَيل، مَا مِنْ حَرَكَة إِلَّا وَأَنْتَ مُحْتَاجٌ فِيهَا إِلَى مَعْرِفَة**)، وهذهِ المعرفةُ لابُدَّ أن تُؤخَذ منهُم.

- يا زائرَ الحُسَين أنتَ بحاجة إلى معرفة.
- يا خَادم الحُسَين أنتَ بحاجة إلى معرفة.
- وأنتَ الَّذي تُريدُ أن تُمهِّد لمشروع إمامِ زمانكَ أنتَ بحاجة إلى معرفة.

النقطةُ الرابعة: عاشُوراء سر بَينَ اللّهِ والحُسَين، وما تجلَّى لنَا شفرةٌ يَستحيلُ تفكيكُ رموزها مِن دُون الرجوعِ إلى المنطق النوري.